9 نحو دستور عمل لعلماء النفس المسلمين

عبدالحليم محمود

- ندوة علم النفس، القاهرة، 1989، أبحاث ندوة علم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ/1993م، ص 75–100 [26 صفحة من القطع المتوسط].
- لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية
- مجال البحث (الكتاب): أسلمة علم النفس

❑ ❑ ❑

هدف الباحث في ورقته إلى التمهيد بعدد من النقاط للإتفاق عليها «كمبادئ أساس» يمكن أن تسهم في إعداد دستور عمل لعلماء النفس المسلمين المعاصرين.

يعترف الباحث في أول ورقته بصعوبة المهمة، ويعزو تلك الصعوبة إلى قدم دراسة النفس البشرية وامتداد جذورها في كل الفلسفات القديمة التي حاولت البحث في النفس الإنسانية.

ويرى الباحث ضرورة عناية المسلمين بعلم النفس وبوجوب تحصيل النافع منه إن أرادوا التقدم والصحوة وحماية كيانهم وعقيدتهم. ويضرب أمثلة على عناية إسرائيل والصهيونية بهذا العلم وبحوثه وتسخير نتائج دراساته لمصطلحهم وإدارة الصراع العربي الإسرائيلي لصالحهم داخل وخارج إسرائيل على حد سواء. ثم ينتقل إلى العناية المسيحية في هذا العلم ومراكز بحثها والمؤتمرات العلمية المسيحية المتخصصة التي ينظمها علماء السلوك المسيحيون بالجامعات أو الرهبان المسيحيون في هذا المجال. ثم يتساءل الباحث بعدها:

> أليس المسلمون أولى بتطبيقات علم النفس: تنمية لهم وحماية لعقيدتهم ومستقبلهم؟

بعدها ينتقل الباحث إلى دور الإسلام (كدين) لحض المسلمين على معرفة سنن الله في النفس والكون وبالتفكير في أنفسهم، وقد وعد الله عباده بأنه سيريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، فليس فتوح العلم والمعرفة في أغوار النفس بأقل منها في جسم الكون.

ثم ينتقل الباحث إلى علم النفس الحديث ليذكر ما يمكن أن نأخذ منه كمسلمين وماذا نرفض منه، ويعيب على علماء النفس المسلمين في العالمين العربي والإسلامي بأنهم دأبوا على محاكاة الباحثين الغربيين في كل ما يصدر عنهم منهجاً وموضوعاً وأسلوباً.

وبعدها يبدأ الباحث «بعنوان بحثه» في ذكر أمرين اثنين يمكن الإتفاق عليهما بين علماء النفس المسلمين:

أن علم النفس كعلم له فروعه النظرية والتطبيقية والذي تتراكم بحوثه ونتائجه بشكل متزايد يشترك مع غيره من العلوم الأخرى في عدد من الخصائص التي لا تكون بدونها المعرفة علماً من العلوم الحديثة.

أن علم النفس نشاطاً إنسانياً أولاً، ثم بوصفه علماً بأحوال الإنسان من حيث وظائفه العقلية والوجدانية... إلخ، يتأثر بالثقافة التي ينتمي إليها العاملون فيه، ولا بد أن تظهر خصوصية هذه الثقافة في نشاطهم البحثي بشكل مباشر أو غير مباشر.

وبالتالي فإن علماء النفس المسلمين يتوقع منهم إظهار هويتهم الإسلامية في عدد من نواحي نشاطهم في مجال أو حقل اختصاصهم.

فمن حيث الشروط المنهجية للنشاط العلمي فإنه لا بد من الإتفاق بين علماء النفس المسلمين على عدد من الشروط المنهجية فيما يوصف بالنشاط العلمي، منها:

وجود علاقة دينامية بين المشاهدات والأطر النظرية

توفر شروط التحقق من النظريات العلمية

عدم قبول النظرية إذا لم تقبل التحقق منها

أما من حيث ما يميز علم النفس كنشاط إنساني فإنه يتوقع من علماء النفس المسلمين الإهتمام به ليصبح نشاطهم علمياً وإسلامياً آناً واحداً، حيث يمكّنهم التركيز في نشاطاتهم على:

- الفلسفة العامة المميزة للثقافة الإسلامية كجسر يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن.
- التصور الإسلامي للإنسان كالتكريم والتسخير والخلافة.
- تحمل التبعية والمسؤولية، فالإنسان خلق عاقلاً مريداً مدركاً ليتحمل مسؤولية الثواب والعقاب.
- المساواة ووحدة الأصل، أي وحدة الإنسانية وأخوَّة البشر جميعاً.
- النية بمعنى التوجه الأخلاقي أو الغائي للفعل لتكسبه القيمة الحسنة أو السيئة.

ثم يرسم الباحث بعد ذلك التصور الإسلامي لأخلاق العلماء عامة وعلماء النفس بوجه خاص:

أن يكون هدف الباحث من طلب العلم هو رضاء الله تعالى والآخرة، احترام العلماء والتلاميذ، عدم الاشتغال بشيء غير العلم الذي ينفع المسلمين، الجدية والمواظبة والهمة في تحصيل العلم، طلب العلم من كل مصدر، . . . إلخ.

* ثم يطالب الباحث بعدها بإعادة قراءة التراث الإسلامي من منظور نفسي ابتداءً بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والمؤلفات الإسلامية في الفقه والفلسفة والطب والتصوف والأدب، بغية استخلاص أبعاد ومتغيرات نفسية لم تخطر على بال الباحثين الغربيين بسبب بعدهم عن الثقافة الإسلامية من جهة، واستخلاص المصطلحات العلمية وإحياء الملائم منها ومتابعة ما يصلح أو يمكن أن يقاس عليه من جهة ثانية.

* كما يطالب الباحث علماء النفس المسلمين بإظهار سنن الله في النفس البشرية للإسهام في الكشف عنها والكشف عن جوانب الإعجاز في سنن الله في نشأة النفس وتفكيرها وتذكرها وإدراكها وانفعالها وذكائها وإبداعها. . . إلخ.

كما يهدف الباحث إلى دعم الدعوة الإسلامية ومساندتها لوضع ما توفر من العلم في خدمة الإسلام ووضع برامج لتدريب الدعاة وحسن التخاطب والرد على افتراء المستشرقين. . . إلخ.

* وأخيراً يطالب الباحث علماء النفس المسلمين إلى اختيار موضوعات البحث العلمي والتطبيقي التي تعود بأكبر فائدة على الإسلام والمسلمين.

ثم يقترح الباحث في هذا الصدد (33) عنواناً لتحقيق دعوته هذه، ثم ليطلب أخيراً تحقيق أكبر قدر ممكن من التعاون والتآزر بين مختلف التخصصات العلمية (التربية، الإجتماع، الاقتصاد، العلوم الشرعية...) لأن عدداً كبيراً من الظواهر لا يمكن دراستها بالإقتصار على الجانب النفسي حسب، بل بتكامل وتآزر عدد من حقول ومجالات العلوم المختلفة.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

أسلمة علم النفس، اتحاد علماء النفس المسلمين، مبادئ أساس لعلم نفس إسلامي.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- العنوان يحمل الاتجاه نحو (أو يهدف إلى) وضع دستور لعلماء النفس المسلمين، وأعتقد أن الورقة وضعت أفكاراً عامة ونصائح مسداة لعلماء النفس المسلمين، ولكنها - برأيي - بعيدة عن وضع دستور لعلماء النفس المسلمين للإتفاق عليه والعمل به.
- فالدستور بحاجة إلى إطار نظري متكامل يرسم الهدف من خلق الإنسان، وحدود حركته ونشاطه وقدراته واستعداداته وغاياته النهائية. بعد ذلك لا بد من تحديد المنطلقات العامة لتلك الفلسفة أو لذلك الإطار النظري والمعايير الأخلاقية التي يمكن الحكم على سلوك الأفراد على وفقها وفي إطارها سواءً الطبيعية منها أو غير الطبيعية.
- أما البحوث التي يمكن أن تقترح فيجب أن ينظر لها أو يركن إليها بعد

الإتفاق على الإطار الفلسفي والخطوط المنهجية العامة والمعايير المرجعية.

- كل هذا لا يقلل أبداً من قيمة الورقة ولا الأفكار الجيدة التي طرحت فيها.

❑ ❑ ❑

obeikandl.com